

ملحمة بنقردان: آخر التوحش أول الرجوعية



معهد غرب آسيا وشمال أفريقيا، حزيران ٢٠١٩



تم إنتاج المادة في هذا المشروع من قبل معهد غرب آسيا وشمال أفريقيا (WANA)، والذي تم دعمه من قبل الجمعية الهولندية للبحوث العلمية، بتفويض من وزارة الخارجية الهولندية، وتطوير من قبل منصة معرفة الأمن وسيادة القانون.

يعكس المشروع آراء المؤلفين وليس بالضرورة وجهة نظر الجمعية الهولندية للبحوث العلمية.

شروط إعادة النشر:

لا يجوز إعادة نشر أي معلومات من هذا المشروع كلياً أو جزئياً وبأي وسيلة دون موافقة مسبقة من معهد غرب آسيا وشمال أفريقيا ومؤسسة الياسمين للبحث والتواصل. للحصول على موافقة المعهد يرجى مراسلة قسم الاتصال على البريد الإلكتروني: info@wana.jo

نُشر بواسطة معهد غرب آسيا وشمال أفريقيا، الجمعية العلمية الملكية، عمان – الأردن.

الباحث: ماهر الزغلامي والباحث المساعد حلمي التومي.
تصميم الغلاف: معهد غرب آسيا وشمال أفريقيا (WANA).

طُبِع في عمان، الأردن.
جميع الحقوق محفوظة لمعهد غرب آسيا وشمال أفريقيا، الأردن. © ٢٠١٩
صنع في الأردن.

جدول المحتويات

1	مقدمة	2
2	تدهور مقاربات الأمن الإنساني ومساهمتها في تغذية التوترات الاجتماعية	4
2.1	في الأمن الاقتصادي والتشغيل	4
2.2	في العدالة الاجتماعية	4
2.3	في المشاركة السياسية	5
2.4	برامج الأمن الإنساني المنفذة ومدى نجاعتها في الوقاية من التطرف العنيف	6
3	بنقردان بين التوحش والرجوعية: محاولة تحليلية	7
3.1	بنقردان البيئة الجاذبة للتطرف العنيف	7
3.2	بنقردان البيئة الطاردة للتطرف العنيف	8
4	التوصيات	9
5	ملحق الجداول	10

ملحمة بنقردان:

آخر التوحش أول الرجوعية¹

سَجَلْ يَا تَارِيخُ يَوْمَ الْعَاذَةِ، مِنْ الْعَاذَةِ ... فِي بِنْقَرْدَانِ حُبُّوا إِبْدِيرُوا إِمَارَةَ

عَالْفَجْرِ خَائِنِينَ عَلَى الْبِلَادِ هَبُّوا ... صُورَ التَّكْنَةَ شَبُّوا

بِسُلَاحِهِمْ مِنْ كُلِّ فِجْ إِصْبُوا ... عَلَى أَمْنًا يُضْرَبُوا بِعَزَارَةِ

إِلْفُوا إِرْجَالَنَا عَلَى الشَّهَادَةِ إِحْبُوا ... وَعَلَى وَطَنِهِمْ إِنْذَأْفَعُوا بِحَرَازَةِ.

لطي الجمل.

1 مقدمة

تقع مدينة بنقردان من ولاية مدنين، أقصى الجنوب الشرقي للجمهورية التونسية قرب الحدود التونسية مع ليبيا. ويبلغ عدد سكانها 79.912 نسمة، بمتوسط أعمار 30.30 عاماً، تصل فيها نسبة الأمية إلى 19%، ونسبة البطالة إلى 18.85%.² تشهد بنقردان وضعيّة اقتصادية هشّة إذ إنها لا تقوم على اقتصاد حقيقي، بل ترتكز بالأساس على التجارة الحدوديّة الموازية. أما عن القطاعات المشغلة الأخرى فتشهد تراجعاً كبيراً، حيث يشكل قطاع الصناعات المعملية ما نسبته 5.12% من مجمل القطاعات، كما يشكل قطاع الفلاحة والصيد البحري 7.47%.³

إلى جانب الوضعية الاقتصادية الهشّة، شهدت المدينة زحف ظاهرة التطرف العنيف في أقصى حالاتها الاحترازية، عندما سعت جماعات قتالية لاحتلالها وإعلانها إمارة تابعة لتنظيم الدولة في مارس 2016، وهي الحادثة المعروفة بملحمة بنقردان.⁴

يستند هذا التقرير على مخرجات البحث الميداني موضّحاً غياب مفهوم الأمن الإنساني، الذي تمثّل بالأساس في غياب الأمن الاقتصادي والتشغيل والمشاركة السياسية والعدالة الاجتماعية،⁵ ودور ذلك في نشوء التطرف العنيف مع اعتبار خصوصية منطقة بنقردان التي تعتبر منطقةً حدوديةً.

وتندرج هذه الورقة ضمن سياق بحثي يسعى لتطوير سبل ناجعة لتعزيز جهود منع التطرف العنيف عن طريق ربط آليات الوقاية من التطرف العنيف ومكافحته بنفيعيل مقاربات الأمن الإنساني وبرامجه طويلة الأمد. وهو محور الدراسة التي تنضوي تحت مشروع "نحو سبل أكثر فاعلية لمقاربات الأمن الإنساني في الأردن ولبنان وتونس" والذي يُنفذ في كل من تونس والأردن ولبنان بتمويل من المنظمة الهولندية للبحث العلمي، بإشراف من معهد غرب آسيا وشمال أفريقيا (الأردن) وبالشراكة مع مؤسسة الياسمين للبحث والتواصل (تونس) والمركز اللبناني للدراسات، وبالتعاون مع منظمة ميرسي كور

¹ يُقصد بالرجوعية هنا الصمود (Resilience).

² مدنين من خلال التعداد العام للسكان والسكنى لسنة 2014، المعهد الوطني للإحصاء، 1 نيسان/أفريل 2014، متوفر على:

http://www.ins.tn/sites/default/files/publication/pdf/20_MEDNINE.pdf?fbclid=IwAR11LirO9wgAs6VBGz5N5CySqnNSBIXeaUAG4poiDSlw8effnkQwnKzwKQs

³ المصدر نفسه.

⁴ وليد الماجري، "الإرهاب في تونس: خارطة التسلسل الزمني للأحداث بعد 14 جانفي"، متوفر على موقع انكفاضة:

<https://inkyfada.com/ar/2014/06/14/drh/>

⁵ مخرجات ورشتي العمل، بنقردان، 15-16 تشرين الثاني/نوفمبر 2018.

والمعهد العربي لدراسات الأمن. ينفذ المشروع في ثماني عشرة منطقة في الدول الثلاث، وقد تم اختيار ست مناطق من تونس لتنفيذ هذه الدراسة وهي قرطاج، منزل بورقيبة، دوار هيشر، تبرسق، جربة، بنقردان.

ضمت عينة البحث في بنقردان 104 مشاركين موزعين حسب متغير الجنس إلى 50 ذكراً و54 أنثى من المسؤولين الحكوميين المحليين والجهويين ومكونات المجتمع المدني وممثلين عن القطاع الخاص والمنظمات الدولية والأئمة إلى جانب أفراد مهمشين يعتبرون الأكثر عرضة للاستقطاب من قبل الجماعات المتطرفة. تعكس مخرجات هذه الدراسة وجهات نظر مختلف المشاركين وذلك بواسطة ورشتي عمل و12 لقاءً فردياً وحلقات نقاشٍ مُركّزة تم إجراؤها في الفترة من آب/أوت 2018 إلى كانون الثاني/جانفي 2019.

ويهدف المشروع بمجمله إلى استطلاع آراء وتوجهات المجتمعات المحلية حول أثر وعلاقة برامج الأمن الإنساني بجهود منع التطرف العنيف في مناطقهم من جهة، وأثر السياسات الأمنية المتبعة في تنفيذ برامج الأمن الإنساني ونجاعة جهود مكافحة التطرف من جهة أخرى. حيث يُقدّم المشروع في أوراقه الختامية اللاحقة نظرية تغيير حول تعزيز العلاقة الثلاثية بين برامج الأمن الإنساني والسياسات الأمنية لغايات منع التطرف العنيف.⁶ ويجب التنويه إلى أن الظواهر المحلّلة ضمن هذه الورقة لا تعكس بالضرورة وضعاً عاماً، ولا يراد عبر التطرق إليها بالرصد والتحليل إطلاق وصوم على منطقة بنقردان.

⁶ لمزيد من المعلومات حول المشروع، انظر صفحة المشروع على: <http://wanainstitute.org/ar/project/towards-more-effective-human-security-approaches-context-emerging-threat-violent-extremism>

2 تدهور مقاربات الأمن الإنساني ومساهمتها في تغذية التوترات الاجتماعية

أظهرت مخرجات الدراسة الميدانية تمثيلاً واضحاً لتدهور مقاربات الأمن الإنساني في المنطقة، حيث أكد المشاركون في مختلف الأنشطة على فكرة التمييز السلبي بين الجهات في استحضار واضح لثنائية المركز والهامش المبنية على تفاوت الحظوظ في الأمن الإنساني. أما على المستوى التعبيري فقد ترجم هذا التمثل في وصف مواطن الهوان لهذه المقاربات عبر التركيز على مقاربات الأمن الاقتصادي والتشغيل، والعدالة الاجتماعية، والمشاركة السياسية. التي تم تفصيل مواطن الخلل فيها كما بيّنها المشاركون في حلقة النقاش المركزة على النحو الآتي:⁷

2.1 في الأمن الاقتصادي والتشغيل

يظهر ضعف مؤشرات التشغيل بالمنطقة وتراجعها في ارتفاع نسبة البطالة خاصة في صفوف حاملي الشهادات العليا. "الأمر الذي يفقد الشباب الرغبة في مواصلة مشوارهم الدراسي شكاً في جدواه"⁸، وي طرح سؤالاً جاداً عن ديناميات التمكين الاجتماعي والاقتصادي، إذ تلتحم في هذا الصدد عطالة المصعد الاجتماعي "المفترض" متمثلاً في التعليم، بـ"تخمة" المؤسسات العمومية وعجز الدولة عن توفير مواطن شغل بها سواء لحاملي الشهادات العليا أو لدونهم من الفئات الأقل تدرجاً في سلم التعليم. من ناحية أخرى ورغم الإقرار بقدرة القطاع الخاص على تحقيق انتعاشة اقتصادية بالمنطقة،⁹ إلا أن واقع مناخ الاستثمار في الجهة "يفتقر لأبسط المرافق الأساسية التي من شأنها جلب المستثمرين أو تشجيع أصحاب رأس المال من أبناء المنطقة"¹⁰. وهذا التفسير أقرب للواقع من الصورة النمطية التي تعزو عدم توجه الشباب نحو المشاريع الخاصة لعقلية التواكل على الدولة وغياب روح المبادرة،¹¹ في حين أن أبناء مدينة بنقردان يديرون قطاعات تجارية كاملة بالعاصمة. بصرف النظر عن الوصوم الاجتماعية المتعلقة بتهم تبييض الأموال.¹² بل إن تقهقر مقاربة التشغيل جعل جزءاً مهماً من الأهالي يبادرون بالعمل في "مواطن شغل غير رسمية وخطيرة، من قبيل العمل في التهريب وهو أمر فرضه الواقع الصعب للجهة، فالشباب يجدون أنفسهم أمام خيارين لا ثالث لهما، إما البطالة أو الانخراط في العمل في مجال التهريب"¹³. وقد اختاروا التهريب أو الهجرة داخلياً نحو العاصمة أو خارجياً عبر الهجرة غير الشرعية، وبصرف النظر عن محاكمة هذه الخيارات من ناحية قانونيتها أو من ناحية صلاحيتها وجدارتها، إلا أنه لا يمكن بشكل من الأشكال اعتبارها خيارات غير مجازفة أو مفتقرة لشجاعة المبادرة.

2.2 في العدالة الاجتماعية

لا ينفصل تدهور مقاربات التشغيل والأمن الاقتصادي عن تراجع مستويات العدالة الاجتماعية في تمثل المشاركين ذلك أنّ "العدالة الاجتماعية تقتضي توفير أبسط الأساسيات التي يستحقها المواطن مثل الدواء والغذاء وهي مستلزمات تغيب مراراً وتقطع تكراراً في المنطقة"¹⁴. الأمر الذي يمكن استيعابه بالنظر إلى المستويات المتركمة من التهميش والتمييز بين الجهات، وهي بدورها نتاج للسياسة المركزية المشطبة التي دائماً ما يستحضرها المشاركون ويقرنونها بحالة التدهور الاقتصادي والاجتماعي حيث "تعجز الدولة عن توفير الحاجيات الأساسية للمواطنين مثل المواد الغذائية الأساسية بحكم بعد المنطقة عن المركز"¹⁵، ممّا يكرس التفاوت الجهوي الذي أقرّ دستور 2014 بوجوده وسعى لرتق فتقه بدسترة مبدأ التمييز

⁷ تواتر ذكر هذه المشاكل من قبل المشاركين في حلقة النقاش المركزة بنقردان، 11 أيلول/سبتمبر 2018.

⁸ مشارك/ة في حلقة النقاش المركزة، بنقردان، 11 أيلول/سبتمبر 2018.

⁹ خلال مقابلة مع عامل في مؤسسات المجتمع المدني، قابلته مؤسسة ياسمين للبحث والتواصل في بنقردان، 6 أيلول/سبتمبر 2018. ذكر ما يلي "التشغيل إلى ناجح هو الي في القطاع الخاص تنجم تكون روك وتخدم من غير ما تبقى تستنى الحكومة والدولة".

¹⁰ مشارك/ة في حلقة النقاش المركزة، بنقردان، 11 أيلول/سبتمبر 2018.

¹¹ خلال مقابلة مع أحد العاملين في مؤسسات المجتمع المدني، قابلته مؤسسة ياسمين للبحث والتواصل في بنقردان، 6 أيلول/سبتمبر 2018. ذكر ما يلي: "(نحب وظيفة عمومية)، مدام ما تتغيرتش العقلية هاذي نحو عقلية جديدة تواكب التطورات الاقتصادية ما نتحدثوش على بعث المشاريع".

¹² نجحت فئة مراكمة للثروة من أبناء مدينة بنقردان في تشكيل شبكة من المستثمرين اخترقت قطاع المقاهي والمطاعم الفخمة بمنطقة البحيرة 2 حتى كادت تحتكره.

¹³ مشارك/ة في حلقة النقاش المركزة، بنقردان، 11 أيلول/سبتمبر 2018.

¹⁴ مشارك/ة في حلقة النقاش المركزة، بنقردان، 11 أيلول/سبتمبر 2018.

¹⁵ مشارك/ة في حلقة النقاش المركزة، بنقردان، 11 أيلول/سبتمبر 2018.

الإيجابي بين الجهات حتى تتعدل الإحداثيات الجغرافية للعدالة الاجتماعية¹⁶ لكن رغم ذلك مازلنا نلاحظ تمثلاً واضحاً لـ"غياب برامج تحسين الوضع الاجتماعي بالجهة، وعدم مراعاة البرامج الموجودة -على قلتها- خصوصية المنطقة الحدودية والاضطرابات التي تعانيها على مختلف المستويات"¹⁷ والتي تترجم آثارها في شح المواد الأساسية التي أضحت رهينة الاحتكار والغبن والابتزاز والارتفاع المشط في الأسعار¹⁸، مما يزيد الفقراء فقراً.

2.3 في المشاركة السياسية

يرتبط تحقيق العدالة الاجتماعية بالأمن السياسي، إذ إن المشاركة السياسية الفعالة قادرة على إيصال مطالب سكان بنقردان إلى مطبخ القرار السياسي والتنموي. وعلى الرغم من تغيير واقع المشاركة السياسية على صعيد الحياة الانتخابية والحزبية ومؤسسات المجتمع المدني بعد الثورة التونسية¹⁹ إلا أن التغيير حمل جانبيين: إيجابي وسلبى. إذ إنه بالرغم من فتح باب المشاركة السياسية إلا أن النظام السابق رسخ عدم مشاركة المواطنين، وعليه يكون المواطن التونسي "متعلمش يشارك ويقدم" بحسب أحد العاملين في مؤسسات المجتمع المدني²⁰.

وعند النظر إلى نموذج الانتخابات البلدية في تونس بشكل عام وفي بنقردان على وجه الخصوص، يلاحظ أن هناك عزوف كبير من قبل مواطني المنطقة²¹ ومع ذلك فإن القوائم الشبابية شكلت 4 - 5 قوائم من أصل 9 قوائم، بمعدل أعمار 28 - 35. وهذا مؤشر جيد حسب أحد العاملين في مؤسسة مجتمعية، إذ يرى أن الحيوية والمشاركة السياسية للشباب مطلوبة لأن من شأنها أن ترسخ مجموعة من القيم التي ستنهض بالدولة²².

ولكن يرى آخرون أن مؤشر مشاركة الشباب ضعيف، والدليل على ذلك تراجع نسبة مشاركة الشباب في انتخابات 2014؛ وذلك بسبب شعورهم باليأس²³. يأتي هذا الشعور باليأس من ثلاثة عوامل: أولاً، يتلقى الشباب صدمات عديدة بسبب المستوى السياسي السيء للسياسيين، ودور الجهات الإعلامية في ترسيخ هذه الجزئية²⁴. ساهم هذا في تكوين رؤية سلبية نحو العمل السياسي.

ثانياً، يرجع سبب يأس الشباب أيضاً إلى عدم الوفاء بالوعود الانتخابية من قبل المترشحين وتقديم برامج انتخابية هشة، مما نتج عنه نشوء فجوة بالثقة بين الشباب والسياسيين. كما يتفاقم الإحساس بعجز الفاعلين السياسيين المحليين عن إحداث تغيير بالمنطقة أمام كثرة الصعوبات والنقائص. وهو ما يجعل المشاركة السياسية بمثابة مضبعة للوقت بلا جدوى.

ثالثاً، يتزايد الإحساس بالاحتقار المتعمد والتمييز السلبي تجاه متساكني المنطقة من مختلف الفاعلين السياسيين وهو ما يفهم -حسب تعبير المشاركين- بالنظر إلى التمييز في التعيينات السياسية، خاصة إذا ما تعلق بالمناصب العليا²⁵. ولذا تتولد الرغبة في الانعزال وعدم المشاركة كرد فعل تجاه الممارسات المتكررة، وهو ما خلف ثقافة كاملة تدعو لمقاطعة الفعل السياسي.

¹⁶ الفصل 12 من دستور الجمهورية التونسية: "تسعى الدولة إلى تحقيق العدالة الاجتماعية، والتنمية المستدامة، والتوازن بين الجهات، استناداً إلى مؤشرات التنمية واعتماداً على مبدأ التمييز الإيجابي. كما تعمل على الاستغلال الرشيد للثروات الوطنية".

¹⁷ مشاركة/ة في حلقة النقاش المركزية، بنقردان، 11 أيلول/ سبتمبر 2018.

¹⁸ مقابلة مع أحد الفاعلين في الأمن، قابلته مؤسسة ياسمين للبحث والتواصل في بنقردان، 3 أيلول/ سبتمبر 2018؛ ومشارك/ة في حلقة النقاش المركزية، بنقردان، 11 أيلول/ سبتمبر 2018.

¹⁹ مقابلة مع أحد العاملين في مؤسسات المجتمع المدني، مؤسسة ياسمين للبحث والتواصل في بنقردان، 3 أيلول/ سبتمبر 2018.

²⁰ المصدر نفسه.

²¹ خلال مقابلة مع أحد العاملين في مؤسسات المجتمع المدني، قابلته مؤسسة ياسمين للبحث والتواصل في بنقردان، 6 أيلول/ سبتمبر 2018. ذكر ما يلي: "في بنقردان، أنا كنت مدير حملة انتخابية في قائمة معينة، وشفت الشيء هذا، نتواصل يومياً وليلياً مع الناس، والناس ثقلك لا، يا ولدي راهو هذا سان بلدي ماهيش انتخابات رئاسية والا برلمان، يعني عزوف".

²² المصدر نفسه.

²³ مقابلة مع عامل في مؤسسات المجتمع المدني، قابلته مؤسسة ياسمين للبحث والتواصل في بنقردان، 6 أيلول/ سبتمبر 2018.

²⁴ المصدر نفسه.

²⁵ مخرجات عمل المجموعات في ورشتي بنقردان، 15-16 تشرين الثاني/ نوفمبر 2018.

2.4 برامج الأمن الإنساني المنفذة ومدى نجاعتها في الوقاية من التطرف العنيف

أمام مواطن الضعف التي عددها المشاركون في علاقة بمقاربات الأمن الإنساني وما يمكن أن تفضي إليه من لجوء إلى التعبيرات الانفصالية العنيفة، لا يرى المشاركون وجود برامج حقيقية لتجاوز الظرفية الحرجة للمنطقة بل على عكس ذلك يعتبرون أن بعض البرامج وإن وجدت فتأثيرها يبقى ضعيفاً إن لم يكن منعدماً وهو ما أثبتته مخرجات الورش المنجزة،²⁶ ويمكن تلخيصه في الأمثلة التالية:

ففي الشأن الاقتصادي، ومع نقشي ظاهرة البطالة وقلة فرص العمل وازدياد الرشوة والمحسوبية، تقدم برامج وطنية مثل برنامج (فرصتي وعقد الكرامة وعقد العمل الكرامة) وبرامج أخرى قروض للمشاريع الصغيرة، كما توفر بعض البرامج الجهوية والمحلية مثل برنامج الفتاة الريفية وبرامج فلاحية تُعنى بتربية الماشية على توفير فرص عمل للمنطقة. ولكن قيم المشاركون فاعليتها بنسبة ١٥٪ بالرغم من وجودها. بينما كان هناك غياب كبير لبرامج تنموية وعلاجية، وأما منظمة "أنا يقظ" ولجنة مكافحة الفساد فقد قيمها المشاركون بنسبة ١٠٪ (جدول 1).

وأما في المشاركة السياسية، تم تنفيذ برامج وطنية مثل نظام تمثيل الشباب بالقوائم الانتخابية، وجهوية مثل الانتلافات الحزبية وأنشطة لشباب الأحزاب، ومحلية مثل التوافق المحلي لمقاومة الإرهاب والمجلس البلدي والمجلس المحلي للشباب. حيث تركز هذه البرامج على الصراع السياسي بين الأحزاب والفساد السياسي وتمثيل الشباب في الحياة السياسية، بينما كانت غائبة في ظرفية الأنشطة الحزبية (جدول 2).

وفي العدالة الاجتماعية، لوحظ تنفيذ برامج وطنية ومحلية و جهوية تتراوح نسبة تقييمها ٥٪ - ٦٠٪. وبهذا تكون برامج العدالة الاجتماعية أكثر فاعلية من برامج المشاركة السياسية والأمن الاقتصادي والأكثر قبولا لدى المواطنين حيث تحصل على نسب رضا أعلى. تقوم هذه البرامج بتسليط الضوء على تنصل الحكومة من وضع وتنفيذ آليات لفتح فرص عمل لسكان بنقردان عن طريق عقد مناظرات. بالإضافة إلى العمل على تقديم رؤية تنموية جديدة عبر انتداب عمال في شركات المقاولات، وكما تعمل على عقد جلسات لاستماع وقبول ملفات منتهكي الحقوق ودراستها وتعويض الضحايا وذلك من أجل تحقيق العدالة الانتقالية. ولأن تحقيق العدالة الاجتماعية يكون بتحقيق تكافؤ الفرص على المستويين الاجتماعي والاقتصادي، تُنفذ برامج تنموية ومالية وأخرى تدريبية وبرامج تساعد على تفعيل دور الشباب مثل برنامج أجيال السلام (جدول 3).

ومع أن برامج العدالة الاجتماعية تحظى بحضور وتقييم أعلى إلا أن البرامج المنفذة في الشأن الاقتصادي والسياسي والاجتماعي لا ترقى إلى المستوى المطلوب لتحقيق الأمن الإنساني. إذ أدى تدهور مقاربات الأمن الإنساني إلى ضعف الإرادة الإصلاحية حسب تمثيل المشاركين إلى ما يلي:²⁷

- معاناة أغلب الشباب حاملي الشهادات العليا من البطالة المزمنة قد يخلق حالة فراغ تؤدي في بعض الحالات إلى الجريمة والانحراف والتطرف.
- النقائص المختلفة في مقاربات الأمن الإنساني وخاصة مقارنة العدالة الاجتماعية تؤدي إلى تكريس الشعور بالنقص والظلم الممارس من طرف الدولة وهو ما قد يوحد الرغبة في اللجوء إلى العنف وسيلة لرد الفعل.
- ضعف أداء مؤسسات الدولة وانتشار البيروقراطية الإدارية يساهم في انتشار الأنشطة الاقتصادية الموازية وغير القانونية والتي قد تتطور لتساهم في دعم التطرف والجريمة.
- النقائص الموجودة في مقاربات الأمن الإنساني تساهم في محدودية نجاعة مشاريع المجتمع المدني الموجودة في المنطقة. فغياب مساندة الدولة للجمعيات يؤدي إلى نقص مردودية نشاطاتها وتأثيرها في المحيط الاجتماعي.
- انتشار الفقر والبطالة ومظاهر الفساد يخلق بيئة ملائمة لولادة التطرف ويساهم في جعل المتساكنين مؤهلين نفسياً لتقبل الأفكار العنيفة.
- التغييب المتمم لمقاربات الأمن الإنساني يجعل الفرد على هامش سياسات الدولة، ومما يدعم ذلك بشكل أكبر الاقتصاد على سياسات الأمن الصلب، الأمر الذي يخلق إحساساً بالتهميش وغياب الدولة وعجزها عن تحسين الوضع الاجتماعي للمنطقة التي لا تُرى فيها الدولة إلا عن طريق أجهزتها الأمنية.

²⁶ المصدر نفسه.

²⁷ مخرجات حلقة النقاش المركزة، بنقردان، 11 أيلول/ سبتمبر 2018.

3 بنقردان بين التوحش والرجوعية: محاولة تحليلية

3.1 بنقردان البيئة الجاذبة للتطرف العنيف

إن أبرز مظهرات الخلل الوظيفي في تنزيل الدولة الوطنية الحديثة لمشروعها الوطني المفترض، هو عجز هذا المشروع وأهدافه الاقتصادية ومؤسسته المدنية وآليات ضبطه الاجتماعية عن تغطية المجال الاجتماعي بشكل كامل. ومدينة بنقردان من الأمثلة الجلية على هذا العجز، خاصة بالنظر لضعف وهوان مقاربات الأمن الانساني المتعلقة بأساسيات الحياة الكريمة. ففي ظل غياب أي تصوّر لمنوال اقتصادي حقيقي في المنطقة، كانت بنقردان "هبة الاقتصاد الموازي"، الذي ينتعش بفضل موقعها الحدودي مع دولة ليبيا.²⁸

من الجدير بالذكر أن فكرة التوازي ليست مقتصرة على الجانب الاقتصادي أو منحصرة فيه، بل هي ظاهرة ممتدة لكافة المجالات الحيوية، نتج عنها انتظام "أهلي" تقليدي تضبطه أعراف اجتماعية مشتركة. وهو انتظام خاص بفئات اجتماعية مسجلة على مساحات جغرافية لم تشملها مشاريع الدولة الوطنية الحديثة فسميت وفقاً لذلك "هوامش". وهي موازية للانتظام "الوطني" الذي يمتد على مجال تابع لنفوذ الدولة ومشمول بمشاريعها، كما ذهب إلى ذلك الباحث زهير إسماعيل.²⁹

ومن الطريف أنّ المثال الأكثر قدرة على توضيح هذه الحالة الانقسامية، هو ما ورد على لسان السيد محسن مرزوق مدير الحملة الانتخابية للرئيس الباجي قائد السبسي، الذي تقدّم على أنه سليل المشروع الوطني للدولة الوطنية الحديثة سنة 2014. قوله: "أطلب من الجنوب التونسي تعديل خياراتهم وعدم الخروج على السياق الوطني".³⁰ فقط لأن الجنوب صوت للرئيس السابق المنصف المرزوقي.

يمثل هذا الانتظام التقليدي "المستقل/المستبعد" على المشروع الوطني بيئة مناسبة للتشديد والتجيش، وتتوفر فيها كل شروط الحاضنة الشعبية مثلما تصوّرها العقل الاستراتيجي للتطرف العنيف. كما تنعدم في المنطقة جلّ مقومات الأمن الإنساني ممّا يؤهلها لتكون منطقة "توحش" حسب تعبير أبو بكر الناجي أحد أشهر منظري التيار السلفي الجهادي،³¹ وهذه المؤهلات الجاذبة هي:

- منطقة حدودية ضعفت السيطرة على حدودها إبان "الثورة" مما سهّل دخول الأسلحة.
- منطقة على تخوم حرب في ليبيا.
- منطقة ذات انتظام اجتماعي تقليدي، وطلب على التدين.
- منطقة تضعف فيها جاذبية ومؤسسات "التدين الرسمي"، نظراً لتدجين الحقل الديني خلال الفترات السياسية السابقة.³²

²⁸ انظر: كمال العروسي، التجارة الموازية والتهرب في الفضاء الحدودي التونسي-الليبي (1988-2012): تشخيص وآفاق في ظل عولمة متخفية (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2019)، متوفر على:

<https://www.dohainstitute.org/ar/BooksAndJournals/Pages/Parallel-Trade-and-Smuggling-at-the-Tunisian-Libyan-Border-Space-1988-2012.aspx>

²⁹ زهير إسماعيل باحث بمركز البحوث الاقتصادية والاجتماعية بتونس وهو أول من عمل على نموذج تفسيري مفروق بين المجتمع المدني والمجتمع الأهلي في تونس، واستعمله في تفسير أحداث بنقردان، وقدمت في ذلك ورقة داخلية بمركز البحوث الاقتصادية والاجتماعية التابع لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي بعنوان "حادثة بنقردان والنموذج التونسي في كسر الإرهاب"، يوم 20 نيسان/أفريل 2016 بمقر المركز في تونس.

³⁰ برنامج شكرأ على الحضور، القناة الوطنية الأولى، 24 تشرين الثاني/نوفمبر 2014.

³¹ انظر: ناجي أبو بكر، إدارة التوحش أخطر مرحلة ستمر بها الأمة (دون مكان: مركز الدراسات والبحوث الإسلامية، 2004).

³² أبو يعرب المرزوقي، "تحجيف المنابع: معركة شعب الشباب لا نخب الأحزاب"، تونس، 2015، متوفر على:

<https://abouyaarebmarzouki.wordpress.com/2015/10/18/%D8%AA%D8%AC%D9%81%D9%8A%D9%81-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%86%D8%A7%D8%A8%D8%B9-%D9%85%D8%B9%D8%B1%D9%83%D8%A9-%D8%B4%D8%B9%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%A8%D8%A7%D8%A8-%D9%84%D8%A7-%D9%86%D8%AE%D8%A8/>

- منطقة يغيب فيها الأمن الاقتصادي، وتعيش على الاقتصاد الموازي، مما يتوافق مع استراتيجية "شوكة النكايّة والإنهاك"،³³ التي من معانيها إضعاف المفاصل الحيوية للدولة عبر خلق مسارات موازية.
- منطقة تنتسب مجموعة من أهاليها للظاهرة، مما يدعم وجودها.³⁴

وقد أثبتت الاستراتيجية الوطنية لمكافحة الإرهاب لسنة 2014،³⁵ وجود أقدار من الالتحام الشعبي-الاجتماعي لظاهرة التطرف العنيف بالجهات الداخلية الأقل حظاً من التنمية ومنها منطقة بنقردان وبحزام التهميش المحيط بتونس العاصمة، مما يجعلها حواضن شعبية ممكنة.

3.2 بنقردان البيئة الطاردة للتطرف العنيف

كلّ العوامل الموضوعية المذكورة لم تجعل من عقل التطرف العنيف يراهن على منطقة بنقردان حاضنة شعبية فقط، بل يراهن عليها منطقة توحش يسهل إدارتها عبر احتلالها وتأسيس إمارة إسلامية فيها. وهو الأمر الذي تجاسرت على فعله في آذار/ مارس 2016 مجموعات قتالية من تونس وليبيا ومن بعض أصلي المنطقة، ارتكازاً على شرعية اجتماعية وشرعية دينية.

كلتا الشرعيتين قصفنا بشكل مفاجئ انتظارات عقل التطرف العنيف على الأقل، الذي لم يتوقع هبة شعبية من أهالي المنطقة ضدّ من اعتبروهم غزاة "غدارة" أي غادرين، في أبرز مظهر من مظاهر الرجوعية الاجتماعية والصمود أمام ظاهرة التطرف العنيف في مراحل احتراها القصوى.

وهذا ما تم اعتباره تحولاً مفاجئاً في بنقردان من بيئة جاذبة للتطرف العنيف إلى بيئة طاردة له. تكون أسباب هذا التحول العوامل الجاذبة للتطرف العنيف ذاتها. فمن خرج عن الانتظام التقليدي يعد غادراً. أما التدين الشعبي فيرفض مصادر التدين الخارجية. وأما "الكنترا" والتي تعرف على أنها عملية توريد أو تصدير لبضاعة تحدث من خارج المكاتب الديوانية، هي امتهان لكسب العيش. حيث إنها لا تعمل على خلق ثروة موازية وهذا عكس الحالة الملاحظة مع ما يسمى بأباطرة التهريب، أو "الماكرو تهريب" والذي يشمل تبييض الأموال والاتجار بالبشر.³⁶

لنا أن نقول أن ما تم اعتباره تحولاً مفاجئاً من البيئة الجاذبة للتطرف العنيف إلى بيئة طاردة له، هو في الحقيقة ليس مفاجئاً. لأن الرجوعية الاجتماعية العالية، التي عززت الصمود أمام ظاهرة التطرف العنيف في أخطر مراحلها، هي ناجمة عن العوامل الجاذبة لهذه الظاهرة كما وضحنا.

أما الأهم من هذا في سياق تحليلي هو أن ما حدث في بنقردان هو أول الرجوعية ودليل إمكان راب الصدع بين "الأهلي" و"الوطني" وشرط قيام الدولة الوطنية الجديدة التي تغطي كامل المساحة الاجتماعية، على قاعدة اللامركزية والحكم المحلي.³⁷

³³ ناجي أبو بكر، إدارة التوحش أخطر مرحلة ستمر بها الأمة (دون مكان: مركز الدراسات والبحوث الإسلامية، 2004)، ص. 23.

³⁴ ورد بالاستراتيجية الوطنية لمكافحة الإرهاب لسنة 2014، واعتماداً على عينة من 500 مودوع في إطار القانون عدد 75 لسنة 2003، بالنسبة لكل 100 ألف ساكن، أن مدينة بنقردان-مدنين تحتل المرتبة السابعة من حيث عدد المسجونين إلى حدود مارس 2014.

³⁵ تم إعداد دراسة داخلية من قبل رئاسة الحكومة التونسية بعنوان: "الاستراتيجية الوطنية لمكافحة الإرهاب: من أجل تحجيم ظاهرة الإرهاب عن روافدها ورفع القدرة على التفادي والتصدي والتحمل للعمليات الإرهابية". وهي دراسة غير معدة للنشر.

³⁶ كمال العروسي، التجارة الموازية والتهريب في الفضاء الحدودي التونسي-الليبي (1988-2012): تشخيص وأفاق في ظل عولمة متخفية (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2019)، ص. 47-50.

³⁷ زهير إسماعيل، "تونس المجتمع المدني والثورة"، الجزيرة، 22 حزيران/ جوان 2014، متوفر على:

<https://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2014/6/22/%D8%AA%D9%88%D9%86%D8%B3-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%B9-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AF%D9%86%D9%8A-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AB%D9%88%D8%B1%D8%A9>

4 التوصيات

- قدم المشاركون في بنقردان توصيات عديدة، ركز معظمها على تحسين الوضع الاقتصادي الراهن عن طريق تشجيع الاستثمار ودعم المؤسسات الناشئة وعقد تدريبات مساندة. كما ركزت إحدى التوصيات على وجوب وضع خطة تنموية تطور المنطقة وتركز على أولوياتها. أما أبرز التوصيات فجاءت كالتالي:
- التشجيع على الاستثمار بالمنطقة وبعث قطب اقتصادي تضامني واجتماعي وذلك عن طريق:
 - التشجيع على بعث مؤسسات ناشئة للاقتصاد التضامني الاجتماعي:
 - التعجيل بالمصادقة على قانون مؤسسات الاقتصاد التضامني والاجتماعي للخروج من حالة الفراغ القانوني وكذلك مساعدة المجتمعات المحلية للقيام بدراسات الجدوى والفاعلية وتوفير الإعانة القانونية والخبرات اللازمة لإنجاح مثل هذه المشاريع.
 - العمل على تئمين المنتجات المحلية وخاصة منها الصناعات التقليدية الأصيلة للمنطقة وذلك بإرساء علامة جودة ذات طابع جغرافي لمزيد من التعريف بالجهة وخلق مراكز تقوم على حفظ الذاكرة الشعبية خاصة فيما يتعلق بطرق الصنع الموروثة وتطويرها بما يتماشى مع متطلبات السوق.
 - التشجيع على تركيز بنوك تنموية وصناديق جهوية للتنمية وتسهيل الولوج لمنظومة القروض بتخفيف العوائق الإدارية ومراجعة نسب الفائدة على القروض.
 - تنظيم دورات تكوينية حول آليات التشغيل والاستثمار بصفة منتظمة تعمل على التعريف أساساً بالامتيازات الممنوحة بقانون الاستثمار لسنة 2016 وبجميع الإجراءات اللازمة لبعث المشاريع وتحسين تسييرها تكون موجهة لجميع الفئات مع التركيز الأساسي على تمكين المرأة وأصحاب الشهادات العليا.
 - تكوين ائتلاف جمعيات ومدني ومؤسساتي لجلب الاستثمار للتعريف بالمنطقة وتهيتها لتكون حاضنة للاستثمار، خاصة مع ما تتميز به المنطقة من عوامل جغرافية بصفتها مدينة حدودية ملاصقة للقطر الليبي.
- وضع خطة استراتيجية لتنمية مدينة بنقردان 2050 تأخذ بعين الاعتبار جميع مقاربات الأمن الإنساني يقع تنزيلها بالتدرج وتأخذ بعين الاعتبار كل خصوصيات المنطقة ومتطلبات واحتياجات المتساكنين ويقع رسمها بطريقة تشاركية مع الاستعانة بالخبراء لضمان أكبر قدر من الفاعلية والنجاعة.
- العمل على الحد من الاقتصاد الموازي والتهرب وذلك بإدماجه في الاقتصاد الرسمي عن طريق التخفيض في المعاليم الديوانية وتفعيل مناطق التجارة الحرة مع مراعاة الخصوصيات الاقتصادية والاجتماعية للمنطقة في اللحظة الراهنة.
- تركيز نظام خاص للوساطة وفض النزاعات يتماشى مع الخصوصية الثقافية والاجتماعية للمنطقة وذلك بتكوين لجان مختصة مكونة من القيادات المجتمعية المحلية التي يُعدّ تدريبها وتمكينها من الأدوات اللازمة للوساطة وفض النزاعات كحل بديل يحافظ على الاستقرار والسلم الاجتماعي.
- تطوير الفضاء الديني بالمنطقة وذلك بإعطاء الإمام حيزاً أكبر من الحرية لممارسة دوره في تنمية الفرد والمجتمع والمساهمة في تحقيق التنمية الفكرية والاقتصادية والاجتماعية وذلك عن طريق التأكيد على حرية التعبير فوق المنبر مع منع التوظيف الحزبي وكذلك بتوفير تكوين مستمر للأئمة حول مجمل المسائل التي يمكن أن يتعرّض لها الإمام في نشاطه من ذلك المسائل الدينية والقانونية والمتعلقة بدولة القانون والديمقراطية والحقوق والحريات العامة والفردية هذا بالإضافة إلى تفعيل دور الإمام كضامن للسلم الاجتماعي وكوسيط في فض النزاعات لما له من قيمة اعتبارية في المنطقة.

5 ملحق الجداول

جدول 1: تقييم البرامج المنفذة حول التشغيل

التقييم %	البرامج المنفذة	العوامل
15	<ul style="list-style-type: none"> ▪ برنامج فرصتي، عقد الكرامة، عقد العمل التطوعي. ▪ التشجيع على بعث المشاريع الصغرى عن طريق القروض. 	وطنيًا نفسي ظاهرة البطالة وغياب فرص العمل ينتج عنه أزمات نفسية تؤدي إلى الجنوح والتطرف.
15	<ul style="list-style-type: none"> ▪ برنامج الفتاة الريفية. ▪ البرامج الفلاحية (تربية الماشية). 	جهويًا
15	<ul style="list-style-type: none"> ▪ برنامج الفتاة الريفية. ▪ البرامج الفلاحية (تربية الماشية). 	محليًا
0	<ul style="list-style-type: none"> ▪ منوال تنموي قائم على التمييز بين الجهات. 	وطنيًا غياب منوال تنموي حقيقي قادر على الحد من ظاهرة البطالة.
0	<ul style="list-style-type: none"> ▪ غياب البرامج. 	جهويًا
0	<ul style="list-style-type: none"> ▪ غياب البرامج. 	محليًا
0	<ul style="list-style-type: none"> ▪ تمكين النساء من قروض بدون فائض. 	وطنيًا اعتماد مقاربات فاشلة في التشغيل على غرار عقد الكرامة.
0	<ul style="list-style-type: none"> ▪ غياب البرامج. 	جهويًا
غياب التقييم	<ul style="list-style-type: none"> ▪ غياب البرامج. 	محليًا
10	<ul style="list-style-type: none"> ▪ لجنة مكافحة الفساد. ▪ منظمة "أنا يقظ". 	وطنيًا الرشوة والمحسوبية.
0	<ul style="list-style-type: none"> ▪ غياب البرامج. 	جهويًا
0	<ul style="list-style-type: none"> ▪ غياب البرامج. 	محليًا

جدول 2: تقييم برامج المشاركة السياسية

التقييم %	البرامج المنفذة	العوامل
0	<ul style="list-style-type: none"> ▪ بناء توافقات وطنية. ▪ حكومة ائتلاف وطني. 	الصراع السياسي الحزبي.
40	<ul style="list-style-type: none"> ▪ ائتلافات حزبية لصالح الجهة. 	
30	<ul style="list-style-type: none"> ▪ توافق محلي حول مقاومة الإرهاب. ▪ المسار التنموي بالجهة. 	
8	<ul style="list-style-type: none"> ▪ مشاريع غير واقعية. 	ظرفية الأنشطة الحزبية والبرامج الوهمية.
0	<ul style="list-style-type: none"> ▪ غياب البرامج. 	
0	<ul style="list-style-type: none"> ▪ غياب البرامج. 	
2	<ul style="list-style-type: none"> ▪ سياسة القروض. 	غياب رؤية تنموية واضحة وفاعلة للجهة.
0	<ul style="list-style-type: none"> ▪ غياب البرامج. 	
0	<ul style="list-style-type: none"> ▪ مشاريع إما بطيئة أو غير مفعلة. 	
10	<ul style="list-style-type: none"> ▪ نظام تمثيل الشباب بالقوائم الانتخابية. 	ضعف تمثيل الشباب.
10	<ul style="list-style-type: none"> ▪ نشاط شباب الأحزاب. 	
30	<ul style="list-style-type: none"> ▪ المجلس البلدي. ▪ المجلس المحلي للشباب. 	
0	<ul style="list-style-type: none"> ▪ غياب البرامج. 	برامج مسقطه إقليمياً ودولياً.
0	<ul style="list-style-type: none"> ▪ غياب البرامج. 	
0	<ul style="list-style-type: none"> ▪ غياب البرامج. 	
10	<ul style="list-style-type: none"> ▪ برامج هيئة مكافحة الفساد. ▪ برامج هيئة الحقيقة والكرامة. 	الفساد السياسي.
0	<ul style="list-style-type: none"> ▪ غياب البرامج. 	
0	<ul style="list-style-type: none"> ▪ غياب البرامج. 	

جدول ٣: تقييم برامج العدالة الاجتماعية

العوامل	البرامج المنفذة	التقييم %
تضافر الضغوطات الخارجية والداخلية في تعطيل مسار العدالة الاجتماعية.	وطنياً	0
	جهوياً	0
تنصل الحكومات من التزاماتها في تسوية آليات التشغيل.	وطنياً	30
	جهوياً	20
تعرض العدالة الانتقالية لبعض العراقيل.	وطنياً	20
	جهوياً	40
تهديش فئة الشباب.	وطنياً	60
	جهوياً	0
	محلياً	0
عدم تكافؤ الفرص على المستويين الاجتماعي والاقتصادي.	وطنياً	5
	جهوياً	10

SIVP³⁸: عقد تربية إعداد للحياة المهنية.



ر ه و
غرب آسيا وشمال أفريقيا

هاتف: +٩٦٢٦٥٣٤٤٧٠١ | info@wana.jo | الجمعية العلمية الملكية، ٧٠ أحمد الطراونة، عمان، الأردن

www.wanainstitute.org